نقد كتاب

تذكرة الكاتب

(تتمة ما سبق في الجزء الماضي)

وعاب قولهم (حكمت المحكمة عليه بخمس سنوات سجناً) قال والصواب ان يقال : حكمت عليه بالسجن خمس سنوات مع ان الخمس سنوات بعد أن فُسِّرت بالسجن اصبحت هي نفسها سجناً نحو (عندي رطل زيتاً) فان الزيت هو الرطل والرطل هو الزيت

وانكر قولهم (تساءلتُ كيف فعل فلان كذا) قال والصواب ان يقال تساءلا وتساءلوا لأن فعل التساؤل يقتضي ان يقع بين اثنين فأكثر . ولكن التساؤل في قوله (تساءلت) وقع بين اثنين : بين الشخص ونفسه ولو لم يصح هذا لما صح ان يقال قلت في نفسي وحدثتني نفسي وقول الحريري (وناجتني القرونة . بأن توجد عندكم المعونة) ولما صح قوله :

وبتُّ ولي نفسان حول وسادتي فنفس تعزيني ونفس تلومني

وعاب قولهم (من هذه الصور الأربع نختار الاخصر الأوقع في النفس) قال : ان كلمتي (الأخصر والأوقع) صفة للصورة المؤنثة فالواجب ان يقال (الخُصْرى والوُقعى) على وزان حُبْلى . اقول انهما صفة لمذكر محذوف تقديره (النوع الأخصر في النفس والنوع الأوقع في النفس) مثلا اما (الخصرى والوقعى) فانهما وان وافقتا القاعدة لكنهما لا تقعان في النفوس موقعاً اللهم الا بعد طول استعمال .

وعاب قولهم (هذا لا يوازي شيئاً) قال الصواب لا يعادله او لا يساويه أما (وازاه) فمعناه حاذاه . نعم ولكن الموازاة بين الشيئين كناية عن الجمع بينهما واذا نفينا الموازاة بينهما كان المعنى ان احدهما في مكان دون مكان الآخر فلم يكن نظيراً له ولا مساوياً ولا معادلاً .

وعاب قولهم (صادق بكل معنى الكلمة) وقال هو مترجم عن الافرنجية . نعم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن ما كل ما ترجم عنها وجب اطّراحه، وهم يريدون (بكل معنى الكلمة) ان الرجل صادق بجميع انواع الصدق اي انه صادق بالمعنى المطابقي كما يقول المناطقة لا بالمعنى التضمني او الالتزامي

وعاب قولهم (فلان جرّاح كبير) قال لأن المسموع عن العرب (جرّاحي) بياء النسبة . اقول لا اظن ان عرب الجاهلية يعرفون كلمة الجرّاحي وانما هي مما ولده علماء العرب في ابّان نهضتهم لكن استعمالهم لها لا يحرّم علينا استعمال (جراح) من دون ياء الا ترى ان قول الشاعر (والدهر بالانسان دوّاري) بياء النسبة المشدّدة في آخر (دوّار) لا يحظر علينا استعمال (دوّار) بمعنى كثير الدوران وهو ما أراده الشاعر من كلمة (دوّاري)

وانكر عليهم قولهم (سحب شكواه وانسحب الجيش) وانما يقال استرجع شكواه او استردها وارتد الجيش أو نكص . ولكن ماذا يضر أن نضيف الى اساليب اللغة اسلوباً جديداً فوق اساليبها فتكثر وتتعدد . على ان سحب هنا يفيد معنى التكتم والتلطف في استرداد الدعوى وكذلك انسحاب الجيش يفيد معنى الهدوء والانتظام في رجوعه ونكوصه .

وعاب قولهم (لم يعد فلان قادراً على العمل) قال والصواب (عاد لا يقدر على العمل) وقد اعترف بان (عاد) هنا بمعنى صار و (يعود) بمعنى يصير و (صار) كما لا يخفى من اخوات (كان) فاذا جاز ان يقال (لم يكن فلان قادراً) جاز أن يقال (لم يعد أحد لم يصر قادراً) (١)

(١) ثم ان هذه الافعال وان سميت اخوات (كان) حفظ لكل منها مقام لا تتعداه في استعمال البلغاء فقولنا في (لم اعد اسمع) ان (اعد) بمعنى (أصر) لا يصح لنا ان نضعها موضعها في هذا المقام الخاص فنقول (لم اصر اسمع) . وقال (صلعم) (لا ترجعوا بعدي كفاراً) قالوا ان (رجع) في الحديث بمعنى (صار) لكن هل يجوز بلاغةً ان يقال (لا تصيروا) مكان (لا ترجعوا) وقال (صلعم) لمعاذ (أفتان أنت يا معاذ ؟) صرحوا بان (عاد) في الحديث بمعنى صار لكن هل يصح ان تحل صار محلها فيقال (أصرت فتاناً ؟) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعاب استعمالهم (الخطاب) بمعنى الرسالة والكتاب وبمعنى (الخطبة يلقيها الخطيب على الناس) قال لأن الخطاب في اللغة مواجهة الآخر بالكلام . ولكن ألا تتضمن الرسالة كلاماً موجهاً الى المرسلة اليه (١) وكذلك الخطاب بمعنى الخطبة أما يتضمن كلاماً موجهاً الى السامعين

وانكر عليهم استعمال العثير في غبار الحرب . قال وانما العرب خصّوه بغبار الأرجل . ولكن ماذا يضر اللغة التوسع في استعمال كلماتها على نحو ما توسع المؤلف في استعمال كلمة (الفسيلة) لمطلق شجر و (الفُصول) لمطلق تغير في اللون على انه سمع استعمال العثير في مطلق غبار

وانكر عليهم قولهم (إيجاد جمعيات وتكوين جمعيّات) قال والصواب (إنشاء جمعيات) مع ان الايجاد والتكوين والانشاء بمعنى واحد نعم الدقيق النظر قد يفرّق بينها ويختار لكل من الكلمات الثلاث موضعها الأليق بها . وهذا بالضرورة راجع الى ذوق اللغة . واستحكام ملكتها . وهو معيار تتفاضل به كبار الكتّاب ولا ينبغي ان يكلّفه الكتّاب عامة ويلزموا به

وانكر قولهم (اشتريته بثلاثة جنيهات ونصفٍ) قال وصوابه (بثلاثة جنيهات ونصف جنيه) ولكن ما الفرق بينهما ؟ وهذا التنوين في (نصفٍ) عوض عن المضاف اليه

وانكر قولهم (جئته في الساعة التاسعة والنصف) قال والصواب (في الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين ؟) ولكننا لم نفهم ما الفرق بينهما و (أل) في النصف عوض عن المضاف اليه ايضاً

وعاب قولهم (ما رأيته غير مرتين فقط) وقال لا حاجة لكلمة (فقط) لصحة الكلام بدونها . نعم يصح ولكن قد يقصد بها زيادة التأكيد كما جوزوا ان يقال رأيته

---

(١) وقد ورد الخطاب بمعنى الرسالة في كلام البلغاء : قال الوطواط في رسائله (خطاب لا بل خطوب تكدر كل عيش) (خطاب اي رسالة راجع معجم الادباء جزء ٣ ص ١٧٥)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرةً فقط مع انها لو حذفت لصح المعنى وفهم معنى الوحدة

قال ولا يصح ان يقال (فاخوري) بل (فخاري) اي بائع الفخار أو صانعه. نعم غير أن الناس لما لم يظفروا في لغة العرب بكلمة تدل على موضع صنع الفخار وضعوا هم كلمة (فاخورة) ونسبوا اليها فقالوا (فاخوري) وهو عمل قياسي لا يصح انكاره عليهم.

وانكر على الكتاب استعمال (عوائد) في جمع عادة و(حوائج) في جمع حاجة وقال إن الاصمعي انكره. ونقول بهذه المناسبة ان علماء اللغة ومعاجم اللغة إذا انكروا احياناً كلمة فانما ينكرونها من حيث مطابقتها للقواعد والاصول الثابتة عن العرب أو نقول انهم انما التزموا بيان ما كانت تنطق به العرب وتعرفه أما لو سئلوا عن جواز استعمالها وكونها مخلة ببلاغة الكلام أو غير مخلة فلا نظن ان الاصمعي أو غيره يقول انها مخلة او لا يجوز استعمالها وهو يسمع بلغاء الكتاب من حوله يستعملونها. فعلماء اللغة ومؤلفو معاجمها انما يرجع اليهم حينما نريد معرفة نسب الكلمة وما اذا كان ينطق بها العرب اولا. أما علماء البلاغة ومؤلفو كتبها فهم الذين يُرجع اليهم في استعمال تلك الكلمة حتى اذا رأيناهم أكثروا من استعمالها حكمنا بجواز استعمالها وقلنا انه لا يخل ببلاغة الكلام وفصاحته. وهكذا الحال في كلمتي (حوائج) و(عوائد) و(صنائع) ونظائرها مما استعمله امثال ابن خلدون.

وعاب قولهم (قارن بين كذا وكذا) قال لأن معنى (قارن) صاحب. نعم ومن معانيها ايضاً أن يقرن الآكل بين طعامين أي يجمع بينهما فمعنى قارن بين الشيئين إذن جمع بينهما ثم نظر أيهما أمثل واليق.

وانكر (أفجر الرجل) اذا دخل في وقت الفجر وكلمة (نحيزة) بمعنى طبيعة و(ضب الضغن) اي الحقد و(نشم) في الامر أي ابتدأ وعدّ ذلك كله من حوشي اللغة وغريبها مع انه لا ينبغي التشاؤم بها الى هذا الحد فانها مهما ثقلت على السمع لا تثقل ثقالة (مخشلب) التي استعملها المتنبيء بل المؤلف نفسه في بعض كتاباته. وغريب اللغة قسمان قسم تنفر منه النفس مهما رددته الألسنة ككلمة (همخع) وهذا لا يجوز استعماله بحال اللهم الا المفحل من الكتاب الذي يختار له من المقامات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأساليب ما يخف به غلظته وجفاءه . والقسم الآخر ما كانت غرابته ناشئة عن اهماله وعدم استئناس السمع به فهو إذا كثر تداوله ودار على الالسنة لا يلبث ان يحلو في الطباع . ويُساغ في لهوات الاسماع . وهذا كأفجر ونحيزة وضبّ الضغن ونشّم وتخشلب وبهذه المناسبة اقول: انا إذا تشاءنا بكلمات اللغة الاصيلة فاهملناها وهي تبلغ الالوف وتطيرنا بكلماتها المولدة والدخيلة فتركناها وهي تبلغ الالوف ايضاً — كيف يتسنى للفتنا المحبوبة ان تنهض وتنمي وتجاري اللغات الحية ؟

وعاب قولهم (يحملون ضغينة على فلان) قال وصحة العبارة ان يقال — (يضغنون على فلان) لكن عنترة يقول — (لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب)

وعاب عطف (الحزم والعزم والمضاء) بعضها على بعض وقال هي بمعنى واحد مع ان بينها فرقاً فيما اعلم : فالحزمُ تدبر الأمر والاستيثاق منه قبل الشروع فيه والعزم الشروع فيه بقوة وبلا تردد . والمضاء المضيّ فيه والثبات عليه الى الآخر .

وانكر صحة (تركيب لا أدري إذا كان فلان قد حضر) قال — وصوابه (لا ادري هل حضر زيد) . لكن اذا قيل اين مفعول (لا ادري) في الجملة الثانية قالوا ان تقدير الكلام فيها هكذا (لا ادري جواب هذا الاستفهام) وهو مايقوله النحاة . فنقول وكذلك الحال في الجملة الثانية ويجعل التقدير هكذا (لا ادري جواب هذا الشرط) لان المعنى (إذا كان فلان قد حضر فشأني كذا واذا كان لم يحضر فلي شأن آخر) فلما قال لا ادري إذا كان الخ فهمنا منه أنه لا يدري أيّ شأنيه الحاصل والواقع . كما لا يدري في جملة الاستفهام بهل وقوعَ حضور زيد أو عدم وقوعه .

وأنكر استعمال (غبّ) بمعنى (بعد) اما لسان العرب فلم ينكره فقد جاء فيه انه يقال (جئت غب الامر اي بعده)

وانكر تعدية فعل (ارتاب) بحرف الجر (في) قال — وانما الصواب ارتاب منه لا فيه مع ان (لسان العرب) نقله وقال (ارتاب فيه) بمعنى شك فيه

وانكر صحة (الأمر المشين) على ان ميمه مضمومة من (أشان) الرباعي مع ان ميمه قد تلفظ مفتوحة ويكون اسم مفعول من (شان) الثلاثي اي انه يشين غيره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كعيب من (عاب) . فقولهم (الأمر المشين) الخطأ فيه ضم الميم لا فتحها

وانكر (خرب الدار) ثلاثياً مع انه ورد كخرّب المشدد

وانكر إطلاق (عجوز) على الرجل المسن وخصّه بالمرأة مع ان بعض علماء اللغة نقل جوازه

وانكر (ناكر الجميل) وقال ان صوابه (منكر) مع ان (ناكر) من نكر الشيء جهله كأنكره . ولا ريب ان من جحد الجميل من شدة لؤمه حالتُهُ حالة من يجهل الجميل بالمرة فيكون في هذا الاستعمال شيء من المبالغة

وانكر صحة (أشار اثناء خطابه) قال وانما الصواب (في اثناء) لان (اثناء) ليست ظرفاً ! لتستغني عن حرف الجر بل هي جمع (ثني) ومعنى اثناء الكلام أوساطه ! والذي نعرفه ان (اثناء وأوساط) كلاهما ظرفان من ظروف المكان المبهمة مثل بين ووسْط وخلال . وكل هذه الظروف يجوز حذف (في) منها قياساً فقولهم اثناء الكلام واثناء الخطاب بمنزلة قولنا خلال الكلام وبين الكلام ومطاوي الكلام وغضون الكلام . ويراد بها كلها الفترات القصيرة من الزمن التي تتخلل الكلام . وسمع أنفذتُه ثني كتابي أي طيّه .

وانكر ان يقال في جمع (جهد) (جهود) وفي جمع (بحث) (ابحاث) قال لان المصدر لا يجمع الا اذا قصد به النوع فالصواب ان يقال (مباحث) مكان ابحاث غير ان الكتّاب الذين يقولون (جهود) و(ابحاث) انما يلاحظون تعدّد أنواعها واختلاف شعبها فاستعمالهم لابحاث وجهود جمعاً كاستعمالهم لكلمة (اعمال) جمع (عمل) و (افعال) جمع (فعْل) من حيث يراد تعدد انواع العمل واختلاف صوره واشكاله

وعاب ان يعدى فعلٌ ما بغير ما يعدّى به عادةً من حروف الجر : فأنكر ان يقال (استند عليه) مكان (استند اليه) و(اكترث به) مكان (له) و (خفي عنه) مكان (عليه) و (نسبه له)مكان(اليه) و (اهتم في الامر)مكان(بالامر) و(تسرّبت الى جيوبهم) مكان (في جيوبهم) و (فعلهُ حباً للمصلحة) مكان(بالمصلحة) و (تقصّى عن الامر) مكان (في الامر) . وهناك نوع آخر من التضمين وهو ان يتعدى الفعل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بنفسه بعد ان كان يتعدى بحرف الجر أو بحرف بعد أن كان متعدّيًا بنفسه وأمثلته مكشوفة معروفة — انكر كل ذلك وعابه . ولما شعر بأن حجة الكتّاب في هذا الاستعمال هو (التضمين) تشاءم بالتضمين وشكاه الى الرأي العام قائلاً . (ان باب التضمين إذا فتح على مصراعيه تعذّر إقفاله على الأنس والجن)

وعندي ان مصلحة لغتنا العربية والحرص على تنمية أساليبها يستدعي فتح هذا الباب على مصراعيه : فمن عرف كيف يدخل منه ويستفيد من (التضمين) عرف ومن لم يعرف لا يلومنّ الا نفسه . وبهذه المعرفة تتفاضل الكتّاب . ويفوق بعضهم على بعض . والا فكيف يسوغ لنا أن نمنع (التضمين) خشية ان لا يحسنه بعض ضعاف الكتاب وهذا (ابن جني) يقول في كتابه (الخصائص) (وجدت في اللغة من هذا الفن (اي فن التضمين) شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به ولعله لو جمع اكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً : فاذا مرّ بك شيء منه فتقبله وأنس به : فانه فصل من العربية لطيف حسن) انتهى

ومما انكره المؤلف ان يجمع (ورد) على (ورود) و (زهر) على (زهور) و (سهم) على (سهوم) وقال ان علماء اللغة او معاجمها لم تنقل الينا هذه الجموع . لكن يكفي في جواز استعمال هذه الجموع ان علماء النحو ذكروا ان (فُعول)جمع قياسيّ لكل ما كان على وزن (فَعْل) بشرط ان لا تكون عينه واواً نحو ثوب فلا يقال في جمعه ثووب بل (أثواب) . فعلى هذا صح لنا قياساً ان نقول: ورود وزهور وسهوم في جمع ورد وزهر وسهم . ولا يضر ان علماء اللغة لم ينقلوها إذا كان علماء النحو قد قرروا القاعدة واثبتوها . وهذه كلمة (لجنة) أفتى المؤلف نفسُهُ بجواز ان تجمع على (لجان) لان (فعال) جمع قياسيّ لما كان على وزن (فَعلة) كما أشرنا الى قوله هذا في صدرا لمقال موافقين مستحسنين

وعاب المؤلف الكلمات المولدة ونعى على الكتاب استعمالها مثل فعل (تطوّر) و(تحرّش) و(تشطّر) (١) و (تفرّج) (٢) ومثل كلمة (الدولاب) مراداً بها الخزانة

---

(١) على ان التشطر وتشطر سمعت في كتابات قدماء الكتاب كاحمد بن يوسف صاحب كتاب المكافأة المتوفى سنة ٣٤٠ فانه قال في كتابه المذكور (وكان للعجوز ولد يتشطّر ويلعب بالحمام) (٢) والتفرج بمعنى المشاهدة عرفت قديماً :ففي معجم الادباء جزء (٥) صفحة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وغير ذلك . وله ان يعيب ذلك وينكره وحواليه طائفة كبيرة من علماء اللغة وادبائها يوافقونه عليه . ويشاطرونه رأيه فيه . اما انا فاستجيز ذلك واستحسن استعماله ويؤيدني في رأيي هذا قليل من علماء اللغة وكثيرون من متمردة الادب . والمستقبل هو الحكم بين الفريقين

بقي اننا لاحظنا على المؤلف كلمات لا نعلم صحتها لغةً ولا جوازها بلاغةً مثل قوله (صفيّة الكوثر) يعني صافية اذ لا نظن جواز ان يقال (ماء صفيّ) كما يقال « خبز نقيّ » . ومثل كلمة « وشيج » في قوله عن اللغة العامية « هي إما خليط من الفصيح .... أو هي وشيج من هذه ومن الكلمات الدخيلة الخ » فقوله « وشيج » لعله محرف عن « مشيج » اسم خليط ومزيج

هذا ما رأينا مؤاخذة المؤلف فيه . ومعاتبته عليه . ونحن لم نرد — بعلم الله فيما كتبناه في نقد كتابه — الا ما اراده هو من خدمة هذه اللغة المحبوبة ورفعة شأنها وتعزيز سلطانها . ويرى هو أن ذلك يكون بضرب نطاق حولها : فلا يُسمح بخروج شيء جديد من غريبها الى ساحة الاستعمال كما لا يُسمح بدخول شيء جديد من مولّدها ودخيلها الى تلك الساحة . ونرى نحن ان اللغة العربية بل أيّة لغة اخرى لا يتيسر لها النمو والاتساع والحياة اذا اتبعنا هذه الخطة في وضع النطاق . والاخذ بالخناق .

بيد اننا مع ذلك رأينا المؤلف في مقدمة كتابه يبدي اهتماماً عظيماً بامر تنمية اللغة والحضّ على الانتفاع بما فيها من خصائص النمو ومزايا المرونة . وهذا ما يجعلنا نحكم باننا والمؤلف على اتفاق . بالرغم من وضع النطاق .

المغربي

---

(٨٤) في ترجمة ابي الحسن الفالي (بالفاء المفردة) المتوفى سنة ٤٤٨ ان السمعاني أنشد له :

(فرّجت صبياني ببستانكم فاكثروا التصفيق والرقصا)
(فقلت يا صبيان لا تفرحوا فبُسرهم في نخلهم يُحصى)

***

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net